الدرس العشرون: التمسك بشريعة الإسلام والحذر من الارتداد

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة ذكرت في كتاب الداء والدواء للشيخ محمد الهبدان عن سوء خاتمة مؤذن تنصر ليتزوج امرأة نصرانية، قال عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: ويروى أنه كان بمصر رجلٌ يلزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة فَرَقِيَ يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دارٌ لنصراني فاطَّلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافْتُتِنَ بها، فترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟! وما تريد؟! قال: أريدك! قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لُبّي وأخذتِ بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدا. قال: أتزوجُك.قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية،وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعلُ، فتنصَّر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم؛ رَقِيَ إلى سطح كان في الدار، فسقط منه، فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه.

إخوتي في الله، لقد أمر الله عباده المؤمنين، بأن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وأن يعملوا بجميع أحكامه، بدون أن يتركوا شيئًا منها، ولا يتتبعوا طرق الشيطان فيما يدعوهم إليه من المعاصي، لأنه لهم عدو ظاهر العداوة قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (208)**} [البقرة:208].

والله جل وعلا أمر عباده المؤمنين كذلك بأن يخافوه حق الخوف وذلك بأن يطاع فلا يُعصى، ويُشكَر فلا يكفر، ويُذكَر فلا ينسى، مع المداومة على التمسك بإسلامهم إلى آخر حياتهم قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102)**} [آل عمران:102].

والله جل وعلا حذر عباده المؤمنين من أن يرتدوا عن الإسلام وذلك برد أو إنكار أى آية أو قول أو فعل أو إقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المَائدة:54].

وكذلك حذرنا ♣ من قبول بعض الكتاب ورد بعضه كما فعل بنو إسرائيل من قبل لأن من فعل ذلك ليس له جزاء إلا الذل والفضيحة في الدنيا ويوم القيامة يردُّهم الله إلى أفظع العذاب في النار قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)} [البقرة:85].

معاشر الإخوة، إن الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر، تارة يكون بترك الإسلام بالكلية إلى ملة من ملل الكفر، وتارة يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، لذا كان من الضروري أن نتناول بعضها حتى نحذر من الوقوع فيها، وهذا الباب زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وهو من أخطر الأبواب وأعظمها في الدين لا يتجرأ عليه إلا ضعيف الدين قليل الورع، فتكفير المعين - أي شخص محدد بعينه - يحتاج إلى استيفاء شروط وانتفاء موانع، وتفصيل ذلك في كتب أخرى مطولة وليس في هذا الكتاب، وإنما اكتفيت هنا بالإشارة إلى بعض نواقض الإسلام وبعض صور الردة على سبيل الإجمال والعموم، ولمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع فليراجع الكتب المتخصصة في ذلك والله أعلم، ونذكر من نواقض الإسلام وصور الردة على سبيل الإجمال والعموم ما يلي (27):

1 – الشرك في عبادة الله تعالى، مثل التقرب إلى الموتى بطلب الحاجات منهم، وصرف النذور لهم والذبح لأضرحتهم، والذبح للجن لطلب شفاء المريض قال تعالى:{إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً(48)} [النساء:48].

2 – جحد ما علم من الدين بالضرورة وجوبه؛ كإنكار فرض الصلاة، أو

الزكاة، أو الصوم، أو الحج ونحو ذلك، أو من قال بتناسخ الأرواح أي أن من مات تنتقل روحه إلى غيره لأن فيه إنكار البعث، وكذلك الشك في قدم العالم أو بقائه أو أنكر وجود الله تعالى، أو من قال إن العالم باق على الدوام فلا يفنى لأنه يستلزم إنكار القيامة ولو اعتقد حدوثه وهو تكذيب للقرآن الكريم ونحو ذلك.

3 – استحلال ما علم تحريمه في الإسلام بالضرورة؛ كالزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس عمدًا بغير حق وعقوق الوالدين ونحو ذلك، ومنها: سب الله، أو رسوله، أو دين الإسلام، أو الملائكة ونحو ذلك.

4 – بغض شيءٍ مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم **ولو عمل به كفر إجماعا،** قال تعالى:**{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(9)}** [محمد:9].

5 – طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا من دون الله، قال تعالى:**{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [التوبة:31].

6 – الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، كالذي يستهزئ بإعفاء اللحى أو بالسواك أو بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو بالجهاد أو غير ذلك.

قال تعالى:**{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(65)}** [التوبة:65].

7 – من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم **وأنه يسعه الخروج من شريعة الإسلام،** كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام والدليل قول الله تعالى:**{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(85)}** [آل عمران:85].

8 – ترك الصلاة مع جحودها، قال الإمام النووي في شرح مسلم: فان كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام،

إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركها تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب والا قتلناه حدا كالزانى المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله.

9 – السحر ومنه الصرف والعطف، فالصرف أى ما يفرق بين الزوجين - والعطف - أى الأعمال التي تحبب الرجل في المرأة والعكس - فمن فعله أو رضى به كفر قال تعالى:**{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ (102)}** [البقرة:102].

10 – مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: **{وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين(23)}** [التوبة:23]، كمن يعمل عيناً للتجسس على المسلمين لصالح الأعداء، قال بعض أهل العلم إن عمل جاسوسا ليس رضا بالكفر، ولكن لدنيا يصيبها فهو مرتكب لكبيرة، وإن فعلها حبا للكفر وبغضا للإسلام وإظهارا لشعائر الكفر على الإسلام فهو كافر.

وينبغي الحذر من الارتداد عن دين الإسلام للحصول على منافع دنيوية فالمرتد عن دين الإسلام له عقوبة في الدنيا وهو القتل وفي الآخرة يكون من أصحاب الجحيم والعياذ بالله.

ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من طاعة أهل الكتاب والكفار من إلقائهم الشبه لنا في الدين فنرتد عن الدين، قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)}** [آل عمران:100]، وقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ (149)}** [آل عمران:149].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *